

العلامة المجاهد "محمد الصالح الصديق" ومشروعه الإصلاحية

The Mujahid scholar Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq and his reform project

هدى ابن زقوطة¹¹ المدرسة العليا للمحاسبة والمالية، قسنطينة (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: hbenzeggouta@escf-constantine.dz

تاريخ النشر

2022/04/16

تاريخ القبول

2022/03/26

تاريخ الإيداع

2022/02/28

الملخص: يهدف هذا البحث إلى التعريف بأحد علماء الجزائر الأفذاذ الشيخ "محمد الصالح الصديق" الذي جمع بين جهاد القلم والجهاد التحريري، وذلك انطلاقاً من تكامل توظيف كل من المناهج: التحليلي، المقارن، النقدي والتركيبية، وذلك قصد تحقيق مقاربة لمغزى المشروع الإصلاحية للشيخ الصديق؛ وهذا عبر الاستفادة من بعض أهم مصادر المفكر وما يكون امتداداً وتوسعة لها من مراجع غيره.

وقد تم التوصل إلى جملة من النتائج، أهمها: قدّم الشيخ الصديق مشروعاً إصلاحياً شاملاً متكاملًا وضّح فيه شروط النهضة الناجحة للمجتمع الجزائري، وأكد إمكانية استئنافها من جديد، عبر تنشئة المزيد من الأعلام النوابع في المجتمع عن طريق حسن التربية الأسرية، جودة المدرّس، جودة مناهج التربية والتعليم المتفكّقة ومبادئ الهوية العربية الإسلامية، مع تجديد الخطاب الإسلامي مع الحفاظ على ثوابته؛ وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة المزيد من البحث في الفكر الموسوعي للعلامة الصديق لتعميق الوعي بسبل نهوض المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: محمد الصالح الصديق؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ مشروع الإصلاح الحضاري؛ الاستعمار الفرنسي.

Abstract: This research aims to introduce one of Algeria's distinguished scholars, Sheikh "Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq" who combined the pen jihad and the liberation jihad, based on the integration of the use of each of the methods: analytical, comparative, critical and synthetic, with the intention of achieving an approach to the significance of

the reform project of Sheikh "Al-Siddiq"; This is by making use of some of the most important sources of the thinker and what is an extension and expansion of it from other sources and references.

A number of results have been reached, the most important of which are: Sheikh Al-Siddiq presented a comprehensive and integrated reform project in which he clarified the conditions for the successful renaissance of the Algerian society, and confirmed the possibility of resuming it again, through the formation of more talents in society through good family education, the quality of the teacher, the quality of education curricula. and education consistent with the principles of the Arab-Islamic identity, while renewing the Islamic discourse while preserving its foundations; In light of these results, the study proposes further research on the encyclopedic thought of the distinguished scholar "Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq" and other Algerian scholars, in order to deepen awareness of the most effective conditions for the renaissance of societies, and to embody this in reality.

Keywords: Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq; Association of Algerian Muslim Scholars; Civilization Reform Project; French colonialism.

مقدمة:

عاش العالم العربي -خلال القرون الأخيرة- سلسلة من التحديات الجسام في شتى المجالات: السياسية (من احتلال، انتداب وحماية)، الاقتصادية، الاجتماعية والفكرية، فما كاد يخرج من أزمة حتى تتلقفه أخرى، كانت من أواخرها ظاهرة العولمة وما اتصل بها من ثورة اتصالات، والتي سقط في فخاخها الكثير من العرب، أحيانا بجهل وأخرى بتجاهل لمخاطرها؛ وقد كان لهذه الأمة -في مختلف تلك المراحل- أبناء أفذاذ هبوا لنجدتها في كل تلك المراحل لإعادة التمكين لها فتستعيد بناءها لحضارتها فترقى؛ وفي الجزائر سطعت شمس جمعية العلماء المسلمين وعمّ فيئها المدن والقرى، وكان من الثمار المباشرة وغير المباشرة لها بزوغ نجم العلامة المجاهد "محمد الصالح الصديق" الذي اشتهر بكونه امتدادا روحيا لها، ومع ذلك لم يحظَ الشيخ بما هو أهل له من البحث الأكاديمي، مع ما تزخر به المكتبة العربية من تآليفه النفيسة التي هدفت إلى الإصلاح المجتمعي، فهل استطاع هذا العلامة تقديم مشروع إصلاحي متكامل يجسّد فيه وعيا عميقا بمقومات هويته الحضارية؟

تنطلق مشاريع الإصلاح المجتمعي من فكر وقاد استقى من محيطه الأسري والاجتماعي مغذيات لوعيه، ففاز على غيره بالعمق والشمول.

1. الدراسات السابقة حول فكر الشيخ الصديق:

حظي الشيخ الصديق ببعض الدراسات الأكاديمية النادرة التي عرفت بجهوده التربوية الثورية والإصلاحية، ومن أهمها:

أ. كتاب ضخم يكرم الشيخ موسوم بـ"أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق" (2007)، والذي تظافت أقلام راقية عدة تمجد كفاح الشيخ الصديق، منها ابنته الشاعرة "رجاء"، الشيخ "عبد الرحمن شيبان" والدكتور "أحمد بن نعمان".

ب. كتاب "المجاهد محمد الصالح الصديق بين صرير الأقلام وقعقة السلاح"، والذي صدرت منه طبعتان، ثانيهما منقحة ومزيدة؛ والذي ألفه الأستاذ الجامعي والبرلماني والمجاهد -إبان التسعينات- "إسماعيل ميرة"، وهو أوسع مرجع منشور معروف فصل في سيرة الشيخ الصديق منذ النشأة، إلى الدراسات العليا إلى المشاركة في التمثيل الدبلوماسي للثورة التحريرية، إلى حياة الجهاد الأكبر للشيخ الصديق في ثورة البناء وكأداء كل تلك المراحل؛ ويعتبره "ميرة" -الإبن- عالم تحرير وأديبا ألمعيا جمع الله فيه كل سمات الطيبة والوقار، فقد أفنى حياته في خدمة وطنه الجزائر، وخلص ميرة إلى أن الشيخ الصديق قد وفّق إلى الجمع بين جهادي القلم والبدن. (ميرة، 2008) وهو الأرجح صدقا، عمقا وشمولا، لمكانة الصديق من آل "ميرة" ولتقائنية تلقائية مؤلفه في السرد، وطموحه لتجلية الصورة السامقة لأستاذه -في الثانوي- وصديق أبيه الشهيد "عبد الرحمن ميرة"، ومشجعه على الخوض في مجال الكتابة: الشيخ الصديق.

ج. كتاب "رحلتي في مقاصد القرآن للأستاذ محمد الصالح الصديق" لنفس المؤلف، الذي خطّه إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، ويعدّ الكتاب دراسة علمية لكتاب الشيخ الصديق

الشهير "مقاصد القرآن"، الذي صدر سنة 1955، وجاءت هذه "الرحلة" في أكثر من 600 صفحة، مستفيضا في استكناه أبعاد "مقاصد القرآن"، ومستفيدا من مشورة الشيخ محمد الصالح الصديق، ليزيد الكتاب العديد من الاجزاء حتى يأخذ الموضوع حقه من الشرح.

د. مقالة "الطلبة الجزائريون في الزيتونة ومساهماتهم في الثورة الجزائرية: الشيخ محمد الصالح الصديق أنموذج"، لـ: "أوبكر الصديق حميدي"، بـ"المجلة التاريخية الجزائرية"، والتي تطرق فيها لأسباب الإرادة القوية للشيخ الصديق فيتحدي الصعاب وتعدد مواهبه المتميزة في المجالات الدينية، الأدبية، الخطابية والسياسية الثورية، مركزا على عوامل نضج هذه الظاهرة أثناء الدراسة بتونس وأثناء انتقاله للجبهة الليبية كدبلوماسي. (حميدي، 2020، صص 290-305) وهو مقال ركز على السرد -عموما- لأهم عوامل تشكيل شخصية الصديق وحيثيات استقراره بالدولتين الشقيقتين ولقاءاته بالمجاهدين الجزائريين كسبب لنضج فكره السياسي الثوري عمليا.

2. عوامل نبوغ الوعي الإصلاحي لدى الشيخ محمد الصالح الصديق:

1.2. مفهوم الوعي:

عرّف علماء النفس "الوعي" La conscience بالحضور في العالم، وباليقظة، ومن أعمق أنماط الوعي فعلُ التفكير أي تداول التمثلات العقلية في العقل، ويطلق "تولفينغ" اسم "الوعي العقلي الذاتي" على نوع من وعي الذات ينطوي على القدرة على التعرف على الذات من ناحية تميّز هويتها، تاريخها، مشاريعها وأسباب حياتها (دورتيه (في الإشراف)، 2009/2004، ص ص 1128، 1129).

النشأة في محيط علم وجهاد:

ولد "محمد الصالح" في 19 ديسمبر 1925م، وكان والده "محمد البشير" من عائلة "آيت الصديق" المعروفة في قريته "إيسكرين" بعزازقة؛ المشهورة بالحفاظ على الدين وحفظ القرآن الكريم وتعليمه؛ وينبّه الشيخ "الصديق" إلى أنّ معنى "الأُسرة" -لغة- وهو الدرع الحصينة، وكذلك كانت حياته ضمن أسرته، بل حتى ضمن عائلته الكبيرة التي كانت تجمعها وشائج متينة في السراء والضراء؛ كما كانت هذه القرية -بدورها- مثالا يحتذى، لما جمعت بين العلم والشجاعة، فقد نبغ منها كثير من العلماء الأفاضل كـ "آل زكري"؛ وقد كان الوالد "محمد البشير" إماماً -لأربعين عاما- بقرية "إبزار" التي اشتهر أهلها بالنخوة ومعالي الأخلاق؛ أمّا والدّة الشيخ الصديق: "فاطمة" فقد كانت بنت العالم الشهير "الشريف الإفليسي" والذي كان شيخا بزواوية "عبد الرحمن اللّولي" بـ"زواوة" -التي تحوي أكثر من ثلاثين زواوية- بمنطقة القبائل، وقد علّمها والدها نصيبا حسنا من العلم الشرعي فكانت قدوة بين أترابها، فكثر خطابها، لكن والدها لم يرضَ لها غير صاحب العلم الغزير والخلق الرفيع زوجا؛ وكان ميلاد "محمد الصالح آيت الصديق" من أسعد ما انتظره أبوه الذي أراد أن يُرزق ولدا ذكرا يجسّد رجاءه الذي ملّك زمام نفسه، وهو أن يحقق فيه ما عجز عن طوّله في ريعان الشباب -فقد سافر محمد البشير إلى جامع الزيتونة وأراد الدراسة بها بشغف، لكنه فوجيء بضرورة دفع مقابل مالي، ولقّة ماله رجع -إذ ذاك خائبا حزينا، لكنه عزم على ادخار مالٍ لتعليم ابنه في الزيتونة، فيجعل منه عالما كبيرا؛ وعليه، فقد كانت حياة الطفل "محمد الصالح" محوطة بانضباط صارم من طرف الأب الذي علّم ابنه اللغة العربية وحفظه القرآن الكريم، حارما إياه من الكثير من فرص اللعب مع أقرانه، وكان يضربه إذا لم يحفظ اللوحة في الوقت المحدد؛ وبين طيبة الأمّ التي كانت تشجعه على طلب العلم، لكنها تشفق عليه وتستكر قسوة الأب عليه في تعليمه، ولكنه مقابل ذلك كان يذهل أقاربه وأترابه بروعة حفظه للقرآن الكريم فكان يلقي -على ذلك- الكثير من الثناء والتبجيل من الأهل وغيرهم، خاصةً بعد ختمه

لحفظ القرآن في أواسط سن الثامنة، وهو الذي اشتهرت منطقته بكثرة العائلات المهتمة بتحفيظ أولادها القرآن الكريم منذ الصغر (الصديق، 2017، ص ص 13 - 24).

وكجائزة للصديق فقد أخذه والده إلى الجزائر العاصمة للاستجمام ولزيارة "نادي الترقى" أين التقى "الصديق" الطفل بالشيخين "الطيب العقبي"، و"عبد الحميد بن باديس" (1889-1940م)؛ فلما عرف الشيخ ابن باديس أن هذا الطفل قد حفظ القرآن الكريم اقترب منه ووضع يمينه على رأسه وقرأ عليه: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)} [سورة النساء، 113] وعندما نزع يده زالت معها صور الاعجاب بزخرف الحياة الذي اكتشفه الصديق في العاصمة؛ وكانت هذه أول مرة يلتقي فيها بهذا الشيخ الجليل؛ ليعود بعدها الصديق إلى الكفاح وحفظ المتون بانضباط بأمر من والده الذي سهر على جودة تعليمه -ففي ثلاثة أعوام حفظ ستة وثلاثين متنا- فتعب كثيرا ونحف جسده، فصار يتمتع من والده الذي حرمه من لعب الاطفال، إلى أن غادر هذا "السجن" برجوع أحد علماء عزازقة -والذي كان بحرا في العلم- من الأزهر. (الصديق، دروب الذاكرة، 28-02-2020)

وقد حصل الشيخ "الرزقي الشرفاوي الأزهري"، على شهادة العالمية بتفوق، ودرس هناك على غير المعتاد في قوانين الأزهر - ثم يرجع إلى الوطن، ويتزوج أخت الصديق، الذي لم يتجاوز -حينها- سن الثالثة عشر، وفي حوارٍ سأل الشيخ "الرزقي" أبا "الصديق" إن كان هذا الفتى متمرسا، فأخذ الأب -مغتبيا- يعدد له الكتب الثمينة التي حفظها ابنه، وطلب الأب من الشيخ اختبار ابنه فيما حفظ، ففعل الشيخ الرزقي، الذي كان يزداد إعجابه من دقة حفظ الفتى "محمد الصالح" لكل من: "التلخيص"، "جمع الجوامع" و"المقصورة" لابن دريد إلى جانب حفظه للقرآن الكريم، على حادثة السن؛ ليقول الرزقي للأب في لهجة واثقة بأن مكان "محمد الصالح" صار -منذ الآن- في مرحلة طلب العلم في زاوية الشيخ "عبد الرحمن اللؤلؤي" -وهي أشهر زوايا منطقة "زواوة"، وهي التي يدرس فيها

الشيخ الرزقي نفسه؛ فرحب الأب بالفكرة، وغمرت الصديقُ السعادةُ لذلك. (الصديق، 2017، ص ص54-56)

وما إن وصل الصديق إلى الزاوية حتى بلغ زملاءه كثرة ما يحفظ من متون وشعر، فأخذوا يستجوبونه ويعجبون بمستواه الرفيع؛ وقد امتلك الصديق -خلال ثلاثة أعوام- ناصية كثير من العلوم كالنحو، الصرف، الأدب والبلاغة، وزودته الكثير من الخبرة والحنكة والعصامية والوعي والطموح والاندفاع لصون الوطن؛ وصار الصديق مدرّساً -في سن الخامسة عشر- لأكثر من مائة طالب في مواد الصرف، التوحيد والمنطق، وما أن سمع درسه الشيخُ "الرزقي" حتى سماه "سبويه القرن العشرين" فكان ذلك دعماً قوياً للصديق لنهل المزيد من العلوم. لكنه لم يتمكن من التوسع في طلب العلم لدى الشيخ الرزقي، الذي أصيب بركام حاد فأحضر له أخوه طبيباً فرنسياً -مع رفض الشيخ الرزقي لذلك- وما أن حقنه حتى صار يستفرغ الدم بقوة ويتلوى من الألم، فأخذ يحتضر وهو يقول: «قتلني الخبيث، هذه نهاية من يثق بالفرنسيين». (الصديق، 2017، ص ص 150-155) وبعد وفاة الشيخ الرزقي سنة 1945م أسودت الحياة في وجه الصديق؛ ثم طلب من أبيه الدراسة في القرويين أو الزيتونة، لكن الأب استبعد إمكانية ذلك، باعتبار شدة كره الاستعمار الفرنسي لعائلتهم، حيث أنها تقوم على ثلاثة أركان هي: العلم، الدين والجهاد، فقد كان شقيق جده الشيخ "الطيب" بطلاً مجاهداً مع الشهيد الشيخ "الحداد".

3.2. الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لقد عايش "الصديق" إحدى أهلك فترات التاريخ على الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، الذي تحدى بمشروعه الاستعماري مقومات الهوية الوطنية بالعمل على تدميرها، بسبل عديدة، وتعدّ الحرب الاستيطانية الفرنسية على الجزائر صورة متنتعة لمسح القوانين العادلة وسيطرة أجلاف الفرنسيين على حضارة آمنة.

فبعد استيلائه على مدينة الجزائر اعترف الجنرال الفرنسي "دوبورمون" Comte de Bourmont (1773- 1846) لجيوشه بأنهم جدّوا عهد الصليبيين (الأشرف، 1983، ص51)، ومن المؤرخين من يرجع السبب إلى الميول الساديّة (وهي التلذذ بتعذيب الآخر) الكامنة في نفوس القادة العسكريين الذين احتلوا الجزائر، فقد أعجبوا بالمغامرات الحربية لـ"نابليون"، (1821-1769) NAPOLEON BONAPARTE التي تلاها رجوع الملك "لويس الثامن عشر" (1755 - 1824م) إلى الحكم وما طبع به ذاك العهد من إحباط شعبه بعد أن فرض الحلف المقدّس Sainte Alliance على فرنسا شروط مجحفة تُضيّق من نفوذها فحرّكت الغيرة هؤلاء القادة أمام الهيمنة الاستعمارية الواسعة لإنجلترا على الكثير من الشعوب، وما إن قامت الحرب في الجزائر حتى اغتتموها فرصة للتفيس عن عقدهم المكبوتة (الأشرف، 1983، ص ص105-106)، لكن ما لبثت حربهم أن صارت هوية وغارات للسطو والنهب، وهو ما صرّح به الجنرال الفرنسي "شانغارنيي" Changarnier في مذكراته بأن جنوده الذين خرجوا إلى سهل متيجة في عملية عسكرية وجدوا "خير تسليّة" لهم في الغارات المتكررة ضد القبائل المناهضة لهم. (الأشرف، 1983، ص ص 106-107) ويذكر القبطان "كلير" Cler أن الحرب ضد الجزائر "استثنائية" لم يتبعوا فيها قواعد الحروب، وأن كل ضابط تصرّف فيها كما يريد، لأن الهدف لم يكن مصالح العرب، بل نيل أكبر قدر من الأوسمة وترقيّ الرتب العسكرية، ومن فرط ما أفسدت غنائم السلب والنهب الجنود الفرنسيين في الجزائر في أواسط القرن التاسع عشر -الذين كان أغلبهم من خريجي السجون وحتالات الجيش- صار أحد قادتهم -وهو الكولونيل "كانروبير"- يتشكّى من أنهم صاروا يجرؤون على ارتكاب أفظع الجرائم (Cler, Campagnes d'Afrique, pp. 276,277)؛ وتوالت شنائع الاحتلال الفرنسي بعد ذلك.

ولم تكن مكانة المرأة في المجتمع الجزائري أفضل حالا من الرجال، فكانت في خطر المماحكات والسطوة الفرنسية، خاصة وأن المرأة هي التي ربّت المجتمع على العفاف ونبل الخلق؛ ويظهر هذا في شهادة صائبة للطبيب العقلي والمجاهد صديق الجزائريين "فرانز فانون" Frantz Fanon (1925-1961م) - والذي اغتالته قوات فرنسية - وقد حذر من خطر أوروبا، التي شهدت تبلور عدوانية وتوترٍ عنفٍ تجاه المرأة الجزائرية، موضحاً أن الكشف عن هذه المرأة هو إبراز جمالها، وفصح سرها، وكسر مقاومتها، وفي المقابل فإن إخفاء الوجه يعني إخفاء سرها ولفّها بالغموض، ومما يحيط المستعمر هو عدم استسلامها. (Frantz Fanon, 2006, p. 25)

وأمام كل هذه المكائد والأهوال فقد كان محيط الصديق مثبّتاً له على حب الوطن والعزم على حمايته، ولا يمكنه ذلك إلا بوعي وحماية ثابته الهوية الحضارية: الإسلام واللغة العربية وتاريخ الوطن الصحيح، وهي المقومات التي طفق الاستعمار يحاربها جهده.

ومن أخطر سبل التشويه الحضاري السيطرة على نمط التعليم بغية التأثير على الفكر والحياة؛ ولعل السلطة الفرنسية كانت من أكثر الداعمين لمشروع تغيير برامج تعليم الدول الإسلامية؛ الذي يُعتقد أن زعيم المبشرين "زويمر" أفصح عنه في مؤتمر عقد بـ "جبل الزيتون" بـ "القدس" عام 1935م لما قال: «لقد قبضنا -أيها الإخوان- في هذه الحقبة من الدهر -من ثلث القرن التاسع إلى يومنا هذا- على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتُم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها؛ وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الإستعمار المسيحي: لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلّم فللشهوة، وإذا جمع المال فللشهوة -وإن تبوأ أسمى المراكز - وفي سبيل الشهوات وجود بكل شيء» (رشدي أبو شبانة، الصراع الحضاري بين

الشرق والغرب، ص412، نقلا عن: الغارة على العالم الإسلامي، ص35)، وعلى هذا يراد للإنسان الجزائري أن يعيش مواطنا من الدرجة الأخيرة مسلوب الأرض، منهوب العزم عن استردادها مصونةً بمعالم ثقافته الأثرية.

وبغرض تحقيق هذا العزم توالى تضيق حكام الاحتلال على التعليم العربي الإسلامي؛ ويشير إلى ذلك تصريح أحد حكام فرنسا بالجزائر غداة احتفال فرنسا بالعيد المئوي لاحتلالها الجزائر بأن فرنسا لن تنتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، داعيا إلى محو القرآن من وجودهم، وإلى اقتلاع العربية من ألسنتهم⁸، وعلى الرغم من ذلك فقد اشتهر عن وزير المستعمرات الفرنسي "لاكوست" Robert Lacoste لما سئل -في تلك الفترة- عن أسرار عجز فرنسا عن مسح تدين وحشمة الشعب الجزائري، قال: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟» (عبد اللطيف، حسب، 2017) ما ينم عن إدراك بليغ لمدى تمكن الدين الإسلامي من الفطرة السليمة للإنسان الجزائري.

وبسبب ذلك أقدمت السلطات الفرنسية على التضيق على منح الترخيص لهذا النمط من التعليم، أو منعه، طامعةً في الاجهاز على مقومات الحصانة النفسية والاجتماعية للشعب الجزائري، فيسهل جعله مجرد أداة تخدم المواطن الدخيل الأوروبي المستنزف لخيرات الوطن المسلوب، الأمر الذي نتج عنه نوعان من رد الفعل: خضوع ونكوص لفئات واسعة من الشعب، في مقابل صمود علماء الأمة الجزائرية أمامه عن طريق العمل على بناء مشروع حضاري واعٍ، أرادوه أن يكون رداً تاريخياً متكاملًا وفعالاً على محاولات طمس معالم هويتها، بعد أن بلغ الشعب حافة الهاوية، وتحرك بهذا قانون "التحدي والاستجابة" تلقائياً في نفوس علماء الجمعية طامحين إلى إرجاع الحق إلى شعبهم، واستبعاد الحاكم الغاصب الذي أراد أن يجعل منهم عبيدا كالحين.

4.2. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بذلت "جمعية العلماء المسلمين" جهدها للنهوض بالمجتمع الجزائري على أساس التعليم المتين الدعائم، والذي يسعى إلى موازنة التراث الإسلامي بالعلم المعاصر لذاك الزمن، شعارهم في ذلك: «الإسلام ديننا، الجزائر وطننا والعربية لغتنا [واعتقادهم الراسخ أنه] لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءؤهم (...) ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم (...) ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته» (ابن باديس، 1985، ص74)، وهي محاولة لإقامة نهضة إصلاحية واعية بنوع المبادئ، المناهج والغاية التي يتبنونها تحقيقها.

وقد بادرت جمعية العلماء المسلمين إلى التحذير من أخطار الطريقة المضلة التي خدمت الاحتلال الفرنسي بزعمها أنه قدر محتوم لا ينفع معه إلا الاستكانة والخضوع؛ ومن أبرز مناكفئها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" -والذي تحركت مشاعر الصديق منذ طفولته تجاهه- فهو من شغل الناس بمنطقة القبائل بمحاربته للطريقة، فكان له أنصار في ذلك ومُعادون. (الصديق، دروب الذاكرة، 28-02-2020) كما ناصب الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" (1889-1965)م العداء للطريقة وفضح أباطيلهم، واصفاً قباب الطريقة بأوثان هذه الأمة، معتبرا إياها قد أضلت وفتنت كثيراً من الناس الذين عبدوها من دون الله -تعالى- ومنحوها القرايين، فأضاعوا الدين والدنيا، ورأى أن علّة ذلك سكوتُ العلماء عن تلك الأباطيل أول نشأتها، وعدمُ سدّهم لذرائعها حتى أفسدت عقول الأمة، وقد كان من واجبهم تفقيه الأمة بكتاب ربها، وسوّسهم بسنة نبيها تفاديا لكل ذلك (الإبراهيمي، 1997، ص397) وقد ساجل الطريقة كثرة من علماء جمعية العلماء المسلمين لوعيهم بخطورتها على العقيدة والوطن.

وعلى الرغم من كلّ العراقيل التي اختلقها الاحتلال الفرنسي، فقد أثمر جهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -وبجهد كبير من الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"- بأن

شيدت في عقدين من الزمن مائة وخمسين مدرسة ابتدائية، ومعهدا راقيا تمكن من تعليم أكثر من مليوني طفل حرم من شتى أنواع التعليم الأخرى. (الجمالي، ص 128) لعلمها أن أفضل وسيلة لبعث الدولة الجزائرية هي العلم الصحيح، كما أسست العديد من الجرائد -التي تمت مصادرتها من طرف الاحتلال - لتبليغ صوتها إلى شعبها.

5.2. جامع الزيتونة:

أراد الصديق وزميله "محمد نسيب" مواصلة طلب العلم بـ"الزيتونة"، إلا أن سلطات الاحتلال اكتشفت أمرهما فاعتقلا وعذبا ثم أرجعا إلى تيزي وزو، وقد أخبرهما الكوميسار الفرنسي بفضه أن يكونا مثل "ابن باديس" الذي أضجر فرنسا نشاطه الدعوي؛ ولكنهما أعادا المحاولة، فنجحا بمساعدة أحد الجزائريين الذي سربهما إلى تونس؛ وهناك درس الصديق. وقد عقدت لجنة علماء لكشف مستوى الصديق لتحديد العام الذي هو أهل لأن يستأنف به الدراسة هناك، وكانت مواضيع الاختبار حول: المنطق، النحو والصرف وغيرها، ودام الاختبار ثلاث ساعات، فانبهر المشايخ بجزيل علمه وافتقار ذهنه، فأقرّوا باستحقاقه للسنة الثالثة الثانوي التي طلبها، بل اعترفوا باستحقاقه أكثر منها، وبين عامي 1946 و1951م، درس الصديق في الزيتونة عدة علوم، منها البلاغة عن الشيخ "أحمد الجليدي"، الذي طلب منه أن يغير اسمه من آيت الصديق إلى الصديق؛ وقد نشط الصديق أثناء الدراسة بالزيتونة في الكتابة بعدة مجلات زيتونية للطلبة، كما ألف الصديق مقالا مهماً في أربعين صفحة، وسمه بـ"التفاؤل والتشاؤم". (الصديق، دروب الذاكرة، 28-02-2020)

3. مشروع الإصلاح المجتمعي للشيخ محمد الصالح الصديق:

قصد التخلص من نير المحن الغاشم، والانعقاد من تقهقر الوعي المجتمعي الذي عاناه مجمل الشعب الجزائري، فقد تقلد الشيخ الصديق الجهاديين: الأصغر والأكبر، واجتهد في التفاني في أدائهما بأفضل وجه، طامحا إلى تأسيس مشروع للإصلاح

المجتمعي الشامل المتكامل يبني على ثوابت الهوية الوطنية التي أريد طمسها لعشرات السنين، حتى أنه تخلى عن منصبه في وزارة الخارجية بعد الاستقلال لصالح التأليف.

1.3. جهاد الشيخ الصديق ضد الاحتلال الفرنسي:

خدم الشيخ الصديق الثورة في جبهة الإعلام، السياسة والدبلوماسية؛ لما عيّنته جبهة التحرير الوطني في السلك الدبلوماسي الجزائري في المملكة الليبية، وخلال إقامته بطرابلس الغرب بين عامي (1958 - 1962)م كان الصديق مكلفا بالإعلام للثورة التحريرية بإلقاء محاضرات في الكثير من المواضيع، وخاصةً حول الثورة الجزائرية وطبائع الشعب الجزائري الذي كان شديد الصبر أمام الرزايا، ورجال الجزائر وعلمائها عبر التاريخ؛ وكان يحضر تلك المحاضرات سفراء من الدول العربية والإسلامية، علماء، أدباء، رجال إعلام وأعيان ليبيا، ومنهم أعضاء "لجنة مناصرة الجزائر"، فأكثرهم كان يجهل ظروف الثورة الجزائرية بما فيها من كثرة سرقات الاحتلال الفرنسي لكثير من الأملاك الأميرية والشعبية الجزائرية، وخاصةً سعيه لإبادة أكبر عدد من الجزائريين، وعمله على تشويه معالم الهوية الجزائرية لتسهيل انحلالها في الشخصية الفرنسية؛ فكان الصديق يكلم جلساءه حول تلك حوادث ليدركوا أسرار صمود ومقاومة الشعب الجزائري للثقافة التغريبية عبر قرابة قرن وثلاث عن طريق الثورات والبطولات، كما استدل الصديق بأقوال مفكرين أوروبيين مشاهير عن عدم وجود أشنع من الاستعمار الفرنسي وعن عدم وجود شعوب أكثر وحشية من الأوروبيين، وأنّ ذاك هو سبب كثرة استعماراتهم. وقد كان الصديق متفائلا بقرب انتزاع الشعب الجزائري "العجيب" لحريته، وقد كتب مؤلفا جمع فيه خطابه التي يبين فيها تعلُّقه واعتزازه بالشعب الجزائري الذي صارت بطولاته طاغية على الوجدان العربي والإسلامي والدولي عموما، (الصديق، 2011، ص ص 09-28)

ومن خلال بعض مؤلفاته ينتقد الصديق سلطات الاحتلال الفرنسي بالتشدد بزعمهم أنهم رسل الحضارة إلى الجزائر، مستدلاً بالواقع وشهادات الجزائريين وكذا بشهادة المفكر "أوجين كومب" Eugène John MC Comb الذي يؤكد أن نوع التعليم في الجزائر - قبل الاحتلال الفرنسي - كان أفضل مما هو عليه وقت الاستعمار، ويعلن أن حرب الاحتلال امتدت إلى أسماء الشوارع والساحات، فحوّلت إلى أسماء أعلام فرنسية، عسى أن يشعر الجزائريّ بعظمة هؤلاء وينسى أعلام أمته ومآثرهم، ويعزو الصديق السبب إلى إدراك الاستعمار لخطورة الإسلام على الوجود الفرنسي في هذه البلاد، كما يقدم الصديق دلائل موسّعة على كثرة العقبات التي افتعلها المحتل في وجه العديد من الأحزاب السياسية الوطنية المنحى عساه يُخرسها كحركة "الأمير خالد" الذي طالب بالاستقلال فتمّ نفيه إلى الشرق الأوسط. (الصديق، القاهرة الاستعمار، 2011، ص ص 35-41)

كما أعلن الصديق ما أرادت سلطات فرنسا إخفاءه عن العالم حول الموجة الصارخة من العصبية الصليبية التي دفعت بتلك السلطات إلى تحويل الكثير من المساجد إلى كنائس أو اصطبلات أو لأغراض أخرى، وتكلم عن الكثير من القتل الذي أعملته تلك السلطات في آلاف المصلّين الأبرياء منذ السنوات الأولى من الاحتلال، ليتواصل ذلك التكتيل في عدة محن، مثل مجزرة 08 ماي 1945م، التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء العزل؛ كما كشف الصديق عن خبايا الحرب التي شنها الاحتلال - في تلك المدة - ضدّ الثقافة العربية الإسلامية ففضح الاستعمار الذي قضى كلياً على المدارس والكتليات الجزائرية التي كانت تعدّ بأكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي؛ كما يكشف الصديق عن الحرب التي شنها الاحتلال على الجنسية الجزائرية سنة 1919م، لما أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً يجعل من الجزائريين فرنسيين، وبمقتضاه جُنّدوا في الجيش الفرنسي، وقيدوا إلى الحروب كالمقطعان، ويؤكد الصديق أن المجندين الجزائريين كانوا سبب نجاح حروب فرنسا ضد غيرها، فقل قتل منهم أربع وثلاثون ألفاً

من مائة وست وأربعين ألفا. (الصديق، الجزائر بين الماضي والحاضر، 2017، ص ص 78-85)

وقد استفاد الصديق في التفصيل -قدر ما ظفر به من علم- حول جرائم الاستعمار الفرنسي الإيديولوجية -مثل توسُّله لبعض الطرق الصوفية لإضلال الشعب عن شرعه- والمادية سواء التي عاشها وأبناء منطقته أو التي يتناقلها الجزائريون أو التي يدونها الصحفيون والعلماء الجزائريون أو من والاهم من غيرهم؛ وكان الصديق يبادر بنشرها في مختلف الفرص والمناسبات التي استطاعها أمام مختلف الدول التي زارها -العربية منها وغيرها- لتدويل القضية الجزائرية وإحقاق الحق واسترجاع الحرية.

ويتفق الصديق مع "مالك بن نبي" (1905 - 1973)م؛ في تحذيره من استيراد "الأفكار المميتة" من الغرب، فإنها أكثر أذية للعالم الإسلامي مما تقتضيه في حق البلد الذي تنبثق منه، فضلا عن تنبيهه لخطورة خذلان الأفكار الصالحة التي تعد الثقافة الإسلامية غنية بها، لأنها ستنتقم. (ابن نبي، 2006، ص ص 149 - 160) وهذا لاختلاف التركيبة النفسية المجتمعية بين شعبي الثقافتين، والتي كان سببها الرئيس اختلاف الدين والأعراف بينهما، فالأخلاق تركيبة فكرية حية وفعالة يمكنها السمو بمختلف قطاعات المجتمع أو قهقرتها.

وما سبق ذكره إلا غيض من فيض الدلالة على مدى وعي الشيخ الصديق بدوره الوجودي كفرد مسلم ينتمي إلى كل أخ مسلم في كل مكان؛ وصونا للحمة هذه الأخوة يخاطر بنفسه زاهدا في التمتع بعيش هادئ وقت عموم الأُرمة، ليعلن تسبيل نفسه مجاهدا عاش الجهل، الفقر والظلم على أرض شعبه، وهذا ما لا يجروء عاقل على الإقدام عليه إلّا لدى يقينه من مدى عدالة قضيته، فيزيد النفس قوة إيمان وحزما في الإقدام.

2.3. جهاد الشيخ الصديق لبناء أخلاق المواطن الصالح:

ساهم في بناء أخلاق الشعب الجزائري قبل وبعد استرجاع الاستقلال في مجالات التربية والتعليم، الثقافة، الشؤون الدينية والإعلام. وقد كتب أول مؤلفاته "أدباء التحصيل" عام 1949 م وهو طالب "بجامع الزيتونة" بتونس - رغم صعوبة ظروف النشر حينها - وكانت تلك طفرة جيدة بين الطلاب حينها، ما أعطاه دفعا معنوياً، فزاد إعجاب زملائه وأساتذته - في جامع الزيتونة - به، ثم صنف كتابه الشهير "مقاصد القرآن" عام 1955، وهو من أبرز مؤلفاته التي عرفت بموهبة فذة ثرية أخذ يتنامى ألقها - على مر الزمن - في ميادين الفكر، الفقه، الثقافة، النقد والصحافة، ما جلب له تقدير وثناء المفكرين، الأدباء، الزعماء، الرؤساء والملوك العرب الذين أهدى لهم الكتاب، الذي طبع في كل من مصر ولبنان والجزائر - لكن بعد الاستقلال - والعديد من الدول، ولما اكتشف أحد الضباط الفرنسيين ذاك الكتاب ورسائل الملوك والرؤساء التي أطرت عليه، تعنت في مضايقته، فأحرق كتبه عقاباً له، فلم يتبقَّ من الأجزاء الأربعة لـ "مقاصد القرآن" إلا جزءه الرابع الذي استطاع نشره وتبرع بعائداته لقيادة الثورة لشراء الأسلحة.

وكانت تلك الأحداث محرّكاً للشيخ الصديق للمزيد من التأليف للاقتداء بسير أبطال الثورة من جهة، وللحذر من المستدمر القديم الذي قد يرجع إذا شعر بضعف الشعب، ومن هذه المؤلفات: "صورة من البطولة في الجزائر"، "الدروب الحمر"، "الرافضون عبر التاريخ"، "أعلام من المغرب العربي"، "الشعب الليبي في جهاد الجزائر"، "الشيخ الرزقي الشرفاوي"، "مع الأستاذ الراحل مولود قاسم"، وغيرها كثير.

وقد أثمر في الصديق دعاء والد صديقه الشيخ "عبد الرحمن شيبان" بأن يكون كاتباً كبيراً، (الصديق، دروب الذاكرة، 28-02-2020) فتحقق له ذلك. فقد وصفه صديقه الشيخ "عبد الرحمن شيبان" (1918-2011م) -رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السابق - بأنه: «طاقة ثقافية، أدبية، تربوية، أخلاقية، دينية، وطنية، عرفته في جميع

أطواره أدبيا تستهويه العبارة البليغة أكثر مما تستهوي السبيكة الذهبية الغنيّ البخيل»(عبدوس، 11-9-2019م).

ويثني الشيخ "محمد طاهر آيت علجت" -رفيق درب الصديق في النضال بتونس وليبيا- على دور الصديق في إقناعه بالنضال عبر ليبيا، فجند آيت علجت مسؤولا ثقافيا لجهة التحرير الوطني هناك، وذلك لما يعرفه عن الصديق من حسن الخلق ورجاحة العقل وصدق اللهجة ووطنيته الشامخة.(الأحمد يوموف، 27 - 08 - 2009)

وقد عرفه المفكر الجزائري "محمد الهادي الحسني" منذ أربعين عاما ونيفا، والذي يعرب عن تشرفه بالتلمذ عليه بالمرحلة الثانوية، لتتوطد إلى صداقة مع مر الزمن، متّها شرف أخلاق الشيخ، ونهل الحسني من تأليف الشيخ الغزيرة، مقالاته، أحاديثه ومحاضراته الموسوعية المتنوعة. (الحسني، 2012، ص ص 146-147) وإبان ترأس الشيخ الصديق للجنة إحياء التراث بوزارة الشؤون الدينية في الثمانينات، شاركه الاستاذ الحسني الشيخ الصديق في جمع "آثار الإمام ابن باديس" وتصحيحها من الجزء الثالث إلى الخامس.

كما أشاد أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر، الدكتور "عبد الرزاق قسوم"، بعظمة أخلاق، وعلم الشيخ الصديق وبأدبه الملتزم البناء للشخصية الوطنية. ويعتبر الدكتور "أحمد بن نعمان" أن الله تعالى - أراد للشيخ الصديق أن يعيش دورا في الجهاد الأكبر أعلى من الجهاد وقت الثورة، لاستماتته في الدفاع عن الثقافة العربية الإسلامية. ويعتزّ الدكتور عامر مصباح بتشجيع أستاذه الصديق على التأليف فقدّم للمكتبة واحدا وعشرين كتابا، وقد دأب الشيخ على تشجيع الشباب على البحث والتأليف؛ وهو رأي الشاعر "الصادق سلايمية" الذي يراه أحد عظماء الجزائر، الذين زرعوا الوطنية والأمل فيه منذ صباه لما قرأ كتابه حول العقيد "عميروش".(الأحمدي وموفق، 27 - 08 - 2009)

ويوافقهم الرأي "عبد الحميد عبدوس" الأستاذ، الكاتب ومدير تحرير سابق لأسبوعية "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- والذي تتلمذ عند الصديق أواخر ستينيات القرن العشرين بالعاصمة- فقد اعتبر الشيخ -ذا الأخلاق العالية- من شغفه باللغة العربية، كما أبهرته برامجه الإذاعية إذاك، في زمن عانت فيه العربية الغربية حتى خجل البعض من حمل جريدة معربة في الشارع. (الأحمدي وموفق، 27 - 08 - 2009) كما يعتدّ عبدوس بإثراء الصديق للثقافة الجزائرية، ما يجعل منه "هرما ثقافيا وفكريا شامخا" ومكسبا ثمينا للثقافة العربية والإسلامية، وخاصة بعد إهدائه لـ "عبدوس" العديد من مؤلفاته التي اكتشف كنوز حكمته الثرة الزاهرة. وقد اعتبر أعماله فضاء خصبا لشتى العلوم والمعارف، متسلحا بقوة الحجة والبرهان، وسمو التعبير مع الدقة، وعمق الفكرة وحلاوتها. وتكريما للشيخ الصديق على مآثره فقد قررت وزارة الثقافة سنة طبع الأعمال الكاملة له، والتي صدرت عام 2015 م فيما لا يقل عن 51 مجلدا من الإخراج الأنيق ومن الحجم الكبير (عبدوس، 11-9-2019م).

3.3. الإسلام كأساس للمشروع الإصلاحية للشيخ الصديق:

لقد كان إعجاب الصديق بالقرآن الكريم عظيما، فقضى جزءا هاما من حياته لاستجلاء معانيه، ففضلا عن هذا الكتاب ألف عديد المصنّفات الأخرى التي يتقصى فيها تأملات غيره مع تأملاته الخاصة في القرآن الكريم، موظفا مناهج علمية كالتحليل، التركيب، التمثيل، النقد والمقارنة للوصول إلى فهم أدق لمقاصد وزواجر القرآن الكريم؛ ومن هذه الكتب: "تأملات في أسرار القرآن"، "هذا هو القرآن"، "من وحي السماء"، "البيان في علوم القرآن"، "الوجيز في علوم القرآن"، "تور على نور"، وكتاب "من روائع الإعجاز" -مثلا- ضمّنه الشيخ الصديق الكثير من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم التي اكتشفها عديد العلماء، سواء الاعجاز النفسي أو العددي أو ما اتصل بالمادة أو المجتمعات وتنظيم ثقافتها، للتدليل على أنه كتاب معجز سماوي فريد، يستأهل دراسات جديدة متمعة تجعله

نبراسا هاديا للحياة. (الصدّيق، من روائع الإعجاز، 2017) فضلا عن مئات المقالات المنشورة في الصحافة أو المبتوثة عبر الأثير التي تخدم المرمى.

وقد أفرد الصدّيق عدة كتب يقدم فيها القدوة الإسلامية المناسبة للإنسان المعاصر، في جملة من المؤلفات، مثل كتابه الراقي "محمد -صلى الله عليه وسلم- في نظر المفكرين الغربيين" والذي يحمل الكثير من قطوف المستشرقين الغربيين الذين أعجبوا بالأخلاق السنيّة للرسول المصطفى، سواء لكونه رسولا عطوفا رحيمًا عادلا صبورًا، أو من ناحية كونه محاربًا قويا شجاعا رحيمًا بأعدائه، أو من نواحٍ أخرى كثيرة أبهرتهم لدى تعرّفهم على سيرته الفريدة (الصدّيق، 2005) ويعتبر كتاب "مفكرون غربيون يعتنقون الإسلام ويتحدثون عنه" امتدادا للكتاب السابق، فهو يجمع أمثلة عن عشرات العلماء المعتنقين للإسلام، المجمعين أن سبب الجاذبية يكمن في طبيعة الإسلام ذاته، وكذا لإعجاز شرعه، روعة أداء شعائره وكذا الشعور الغامر بالسلام لدى أدائها، لأنه لا يكره الناس لاعتناقه، فهو دين المنطق السليم والحضارة، مقارنةً بخرافات التثليث التي يمجّها العقل والواقع. (الصدّيق، 2003)

كما جاء مؤلفه الضخم "نفائس الكنوز" للتوسع في التعريف بـ"كنوز" إسلامية منها: القرآن الكريم، الرسول الأكرم، الصحابة وفضائلهم، وكنوز من العلماء من أهل الحكمة وكنوز من أبطال الثورة التحريرية. (الصدّيق، 2019) وما يجمع هذه الكنوز أن روحها تتفق وما يدعو له الشرع الحكيم، فكانت منارات هادية.

وقد كان مصنفه "تماذج للاقتداء" اعترافا بفضائل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذين يعرف بسيرة بعض منهم وكيف تحدّوا صعاب المستدمر وثبتوا على نشر العلم الشرعي والاجتهاد فيه، عبر النوادي، المدارس، الزوايا، الصحف وغيرها. (الصدّيق، 2013)

كل هذه القدوات -وما أكثرها- تقول للمسلم أينما كان: لست وحدك، هو دين يعتنقه كرام القوم من مختلف الشعوب، وأنت أولى بأن تعتمد نبراسا هاديا فتنتصر على الصعاب.

4.3. اللغة العربية كأساس للهوية الوطنية عند الشيخ الصديق:

ما اقتصر علم الصديق على استيعاب أصول الدين الإسلامي، بل وطّدها بما جناه من علوم وحكم اللغة العربية التي كان يحفظ الكثير منها شعرا و نثرا، فصقل ذلك ملكته الخطابية وأغناها، الأمر الذي يجعل السامع منجذبا إلى قوة حجته وبديع بيانه، المتصل بطول نهل من عيون المعارف مع ما أنجده به قوة ذاكرته ونباهة فطرية وكثرة اتصاله بأهل العلم مشرقا ومغربا، واستشرافا للدور الطلائعي لهذه اللغة أَلَف كتاب "مستقبل اللغة العربية".

فالعربية روح يفكر بها -وعن طريقها- المسلم في دينه، ولذا تحدّث عن شأنها رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر العالم التلمساني الشهير "عبد القادر المجاوي" (1848-1914) مستهلا بها الكلام في علوم اللسان، فيصفها بكونها أوسع اللغات وأفصحها منطقا وبيانا وأكثرها تصرفا في أساليب الكلام، وأقبلها تقننا في النثر والنظام، قد ملأها الله من الآداب والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها. (المجاوي، 2008، ص 33) وقد يكون الشيخ الصديق ممن حظوا بمطالعة هذا المدح والتقدير لشأن العربية من المجاوي أو أحد تلامذته فزاد ولعه بهذه اللغة وبالأخلاق التي تحظّ عليها. ولفضل هذه اللغة يصفها "جميل صليبا" بكونها من أغنى اللغات وأكثرها مرونة وألطفها مخارج وأوسعها اشتقاقا وأدقّها تعبيراً. (صليبا، 1982، ص 07) ومن المعروف أن اللغة وعاء الفكر، وعليه، فللغة العربية نصيب من قوة التأثير على المتلقي يفوق غيرها، وهو ما أدركه الشيخ الصديق الذي تفنن في إتقانها فرصّع بها أفكاره وكلامه.

5.3. الصحافة كسبيل لتواصل الشيخ الصديق مع شعبه:

من السنن النفسية في الأمم حاجة الجيل الجديد إلى نوع جديد من الخطاب الحاثّ الالتزام بالشرع الحكيم، وقد بدا هذا جلياً لدى الشيخ الصديق، من خلال نشاطه الصحفي بجريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - منذ صدور أول عدد من سلسلتها الرابعة في أواسط عام 2000م - من خلال ركنه القارّ "ما قل ودل". فكان يقدم فيه خلاصة تأملاته وحواراته مع فئات مختلفة من المجتمع: الأستاذ، الكاتب، البطال، المسلوبون بالغربنة وغيرهم، ويثير بعض هؤلاء مشكلات معينة يطلبون حلّها لدى الشيخ، والذي يقدم لهم رويذاً الحلول من جوهر الشرع، فيرضون وتكون تلك الحلول شذرات يستفيدونها قارئ البصائر عساه يزداد تبصراً بالحاضر والمآل.

ومن أمثلتها استنباط الصديق من الشرع الحكيم وحكمة العلماء دلائل على وجود فتنة للناس ببعضهم في الدنيا: فتنة الشديد بالضعيف والعكس - والحاكم بالمحكوم - والعكس - فجعل الله تعالى - الناس بعضهم لبعض فتنة، فابتلى الفقراء بالأغنياء، والجهلة بالعلماء، والضعفاء بالأقوياء، فلا نعمة إلا كان معها نقمة، وقد جعل الضدين يتسابقان لمصلحة الإنسان سواء علم الإنسان أم جهل، فالعداوة والعقبات ليست ضرراً محضاً، بل هي مقويات لمن تتنابه وتواجهه، قد تكون سبب توبته أو سبب اتقائه مضار كثيرة.. (الصديق، الإنسان فتنة لغيره، 05-12-2018) وفي هذا ترويح عن المحزون لطمأنته بأن في الشرّ خيراً فلا يبتئس المسلم للملمات لأنها تحوي خيراً يمكنه إدراك بعض الحكمة منه مع مرّ الوقت مع تدبّره له، وهذه رسالة مفتوحة إلى شباب الوطن، الذي ينوي الهجرة إلى ثقافات مجهولة، فيخذل بلاده التي هي بحاجة إلى طاقات أبنائها.

ومن هذه الأمثلة زيارة أستاذ في التعليم الثانوي للشيخ الصديق، كان شديد التذمر من نقائص الحياة، فقدم له الشيخ درساً ينصحه به، فالحياة تتبادل بين حلاوة ومرارة، وغنى وفقر، وفرح وحزن، وعلى الإنسان توطين نفسه على هذا الرضى، مستذكراً

قبيسات من حكم بعض مفكري الغرب الداعية إلى حب العلم والعمل لتحقيق السعادة. (الصديق، 2020-3-22م) وهذا دليل على أنّ الشيخ الصديق ينظر إلى الحياة من وجهها المشرق المنير لا المظلم القاتم.

ولكنّرة المتذمرين من شعبه يقدّم الشيخ الصديق مثالا عن سيّدة -للاقضاء بها- كانت مسنّة صابرة على كثرة العلل والأمراض، فأكبّر إيمانها وثقتها في الله؛ كما أكبر الصديق شيئا نزلت به أمراض مختلفة إبان مرحلة ثورة التحرير، فتحمّل آلامها ومنغصاتها راضيا بالقضاء والقدر لا يشتكي، وواصل الجهاد، ولما انتهت الثورة بدأ في المعالجة الصحيحة، فكاد يلزم المشفى، فأعجب الصديق بهذه القدوات واعتبرهم ممن استطاعوا الوقوف "تحت مجاري الأقدار"، وفي المقابل يقف الصديق منتقدا من رزقوا نعمة الصحة، فلم يقدّروها ولم يحمّدوا رازقهم عليها، فمنهم من ينتحر ويعرض نفسه لغضب الله وعذابه المهين، ومنهم من يدمن على أحد المحرّمات، ومنهم من يردي نفسه بتضييع وقته الثمين، مقدّما الأسوة السيئة، فكان الغاية من حياته فوق هذه الأرض مجرد الاستهلاك. (الصديق، 2020-2-18)

وفي نفس السياق يقدم الصديق مثالا لشاب خريج حقوق -منذ بضع سنين- اشتكى للشيخ عدم حصوله على عمل إلا في مطعم بفندق، فخفف الشيخ عنه مستنكرا اشتباه المعالم عليه وعلى أمثاله حتى اختفت الحقيقة الواضحة، محذرا أنه من الخطأ الفاحش اعتبار الغاية من التعليم مجرد نيل الوظيفة، فالعلم يجب أن يطلب، وينفق فيه الوقت، والجهد، والمال، من أجل ترقية الفكر، تهذيب النفس وتقويم السلوك، وإلا فقد لا يتورع طالبه عن التزوير والغش لنيل الشهادة، أمّا إن كان مرماه ترقية النفس فحق له التفكير في الوظيفة فقد يناله عاجلا أو آجلا. (الصديق، 2019-5-28)

كما يحلّل الصديق للقارئ مشاكل اجتماعية استنزفت طاقات شباب -مقبل على طلب العلم- بطرق عابثة، كذاك العشريني الذي أطلع الصديق على بحث أنجزه حول

حياة الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، طلبا للنصح، فشكره الشيخ وشجعه على طرق هذا الميدان الصعب، وكم اهتمّ الصديق لدى علمه بما يحاك ضده من إحدى الأصهار من مكائد، عساه يُطرد من بيت العائلة؛ وهو لا يستطيع ذلك لفاقته، فيُعجب الصديق من تحول الإنسان -الذي كرمه الله بالعقل- إلى شيطان مريد، فلا يخشى العدل الإلهي، هو يعلم أن أجله محدود فوق هذه الأرض. وفي هذا درس لكل من يريد أن يعيش السطوة والجبروت. (الصديق، 10-03-2020)

كما طلبت نصحه كاتبة أنجزت خواطر -حتى يوجهها قبل طباعته- فما إن قرأت عليه بعضا منه حتى استوقفها مستغربا كون مكتوبها لا يشبه العربية إلا في الكلمات، مع غموض شديد في مدلوله، وطلب منها أن يكون الهدف من الكتابة ترقية ذوق القارئ أخلاقيا وعدم الانكباب على زخارف تمجّجها العربية نفسها، ومع ذلك شجعها على الابداع، باعتبارها تملك من ثروة لفظية، وخيالا واسعا، حاثا أهل العلم على احترام الاحلام الطيبة للنشء، فالذين حولوا مجرى التاريخ استهلّوا حياتهم بالحلم والحب والرغبة، والتي هي عوامل لبناء مستقبل الإنسان؛ وهنا يستذكر الشيخ الصديق -أثناء صباه- يوم سأله إمام في إحدى القرى: عن طموحه المستقبلي، فأجاب: أريد أن أكون مؤلفا للكتب، ذلك أن والده كان يذكر مؤلفي الكتب في إكبار وتعظيم. (الصديق، 3-3-2020م)

إن من يطالع مثل هذه الحلول الأخلاقية -التي ينشرها موقع "جريدة البصائر" على شبكة الانترنت- لمشاكل فئات مختلفة من الشعب، يمكنه أن يرعوي عن الكثير من الانحرافات التي طالت شباب اليوم المسمى "جيل الانترنت" من جراء إدمانهم على الانترنت في استلاب أحيانا. ومنهم الطلبة الجامعيون، فقد أكدت دراسة ميدانية جزائرية أجريت على مائتي طالب بجامعة وهران 2 -مستوى متوسطا من الادمان لدى هؤلاء الطلبة، ناصحة بتفعيل دور المؤسسات الثقافية والتربوية بأنواعها للنهوض بالتوعية الفعالة

لهم، حتى لا ينجروا نحو الانحراف وهم نخبة المجتمع المنتظر الانتفاع منها. (طباس وملال، 2021، ص 403).

ومن دلائل الوعي الإصلاحية الرفيع للشيخ الصديق كتاباته، والتي مجّد فيها علماء المشرق والمغرب الإصلاحيين، الذين حطموا الجمود الثقافي الذي نجم عنه تخلف الأمة، وهذا باجتهدهم في ابتكار حلول رشيدة تناسب حاضريهم، كالعلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي أفرد له مؤلفاً توسع فيه في ذكر مناقبه، وغيره من العلماء الذين دافعوا على بقاء الهوية الثقافية وساندوا مواكبة سبل التطور الناجمة للمجتمع، وفي هذا تشجيع للاقتداء بنهجهم؛ وللشعوب المسلمة أن تأخذ عنهم الخلق السليم والعلم الملمّ، لمواكبة سبل التطور الناجمة المحيية للمجتمع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» (صحيح مسلم، د.ت. ص 1506)، وأجر العلم في الإسلام جزيل.

4. دروس مستفادة من مشروع الشيخ الصديق الإصلاحية:

1.4. تغيير مصير الانسان يبدأ من تغيير قناعاته:

لدى تكريمه بإحدى الجامعات الجزائرية سئل الشيخ الصديق عن أسرار نتاجه الفكري الغزير فأرجع السبب إلى توفر ثلاثة دعائم هي: الإرادة القوية، إحترام الوقت والتنظيم المحكم، ويسيرُ هذه الدعائم هوى الجمال الذي يغمره: جمال اللفظ والعبارة وجمال الأنس بالكتابة. (الصديق، مدارس لولاها ماكنت، 2017، ص ص 07-09)، ولوعيه بقيمة الوقت للنهوض بالمجتمعات فقد أفرد له الصديق كتاباً ممتعاً يعرض فيه مفاهيم للوقت وقيمتها في القرآن الكريم وعلاقته بوراثة الأرض وبالنجاح في العمل، كما يقدّم الصديق أحاديث شريفة ترفع قدر الوقت، وأسرار الأوقات وسبل اغتنام "الأمم الحية" لها، وقدّم الصديق شذرات عن حكمة العلماء حول الوقت، واعتبر اغتنام الوقت من

أسباب النصر والتواؤم مع الكون. (الصديق، 2012) وهو الذي زار روسيا ضمن وفد رسمي عام 1980 فاكشف حكمة ندره مقاهيها، منعاً لإهدار شعبها لوقته.

كما جاء كتابه القيم "الإجتهد والتجديد في الفكر الإسلامي" لمعالجة موضوع الاجتهاد عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد عند الصحابة سادة الأمة وسادة المجتهدين وعند علماء الأصول، وأهم ميادين الإصلاح والتجديد، محذوة بالتعرف على جملة من المجددين المسلمين عبر الزمن. (الصديق، 2009) فمن لا يتقدم بتجديد بعض أدواته قد يتأخر.

وقد كانت هذه الفئات صعبة المنال في زمن الاستعمار الفرنسي -الذي كثر فيه إحباط الشعب الجزائري- إلا لمن تعزز بسلاح الهوية الوطنية التي أنعشت طلاب العلم والعلماء فكانت كتبه مادة خصبة وظف شذرات منها كثير منهم في دراساتهم الجامعية وأعمالهم البحثية، فساهموا بدورهم في إحياء إرادة شعبهم للنصر واستئناف التقدم الحضاري.

ولم يثل هذا النوع من الحياة النابضة بالجهاد الفكري، دعى المفكر الهندي المسلم "وحيد الدين خان" (1925 - 2021م)؛ الذي أوعز سبب انهيار قوة المسلمين إلى اهتمامهم بـ"الجهاد السياسي" مع تخلي أكثرهم عن "الجهاد الدعوي" نحو الله تعالى، فلو عادوا إليه بثقة في حكمة شرعهم وصبر على الالتزام به وأناة في فهمه وتبليغه لأسبغ الله عليهم نعمه بما فيها السياسية، ذلك أن قوانين الكون هي نفسها التي تسري على الجميع. (خان، 1984، ص 09 وص 174)، فقلّة السند الشعبى بسبب جهله للتحديات التي تواجه مجتمعه ولدوره الحضاري قد يجعله يضيع المكاسب الثمينة في أقلّ الآجال، لكن متى ما وعى الدعاة شعبهم بمسؤولياته المجتمعية فهذا حقيق بجعل الشعب ملتفاً حول قاداته الفكرين والسياسيين لمجابهة قوى الشر مهما كان خطرهما.

2.4. الاختيار الصحيح للفكرة أهم خطوة في بناء الإنسان الصالح:

كثيرة هي المجتمعات التي استعمرت، وما إن ضعف المستعمر حتى طردته مع إيديولوجيته مقهورا ذليلا، ذلك أنها لم تستسغ منظومته الفكرية المتعالية عليها والمبنية على تخويل الإنسان الأقوى سطوةً أن يستولي على الأضعف رصيда دفاعيا؛ وهو ما حصل بالتاريخ الجزائري، لما لفظت الجزائر كل غازٍ بحزم وشراسة؛ لكن الأمر مختلف جذريا أمام الفتوحات الإسلامية التي أعطت للحياة نصابها ومعناها الصحيح، وتواءمت مع الشعب الجزائري الذي يتمتع بفطرة محبة للحرية، حتى أنه لقّب بـ "إيمازيغن": أي الرجال الأحرار؛ فقد عرف الإسلام الإنسان الجزائري بعدم قابليته للاستعباد من طرف أي إنسان، بل من خالقه فقط، ووضع له قانونا منظما لمختلف علائقه -سواء بنفسه أو بغيره- لطيف الجوهر، سامي الغاية حتى ينتشله من حضاضة المادة إلى حسن الاستفادة منها كمجرد وسيلة لتحقيق أهداف روحانية عليا غايتها إرضاء الخالق الحق وثمرتها تحقيق السعادة بأنواعها. وهذا ما وعاه الشيخ الصديق، فكان هذا النظام الصحيح دافعا مستمرا له لتجنيد شعبه ليعيش وفق هذا النظام -عزيز النفس رائقها أمام مختلف التحديات التي تجابهه.

3.4. حياة الجهاد التربوي -التعليمي المتواصل:

ومما سبق فقد كان الشيخ الصديق دؤوب الجهاد في سبيل تحرير شعبه من الجهل المفضي الزلل، والذي قد يتسبب في تحطيم أو اصر التلاحم المجتمعي أو التقهقر الاقتصادي أو ضحالة السيادة الوطنية، أو غيره مما يمكن تداركه عن طريق مواصلة النصيح، التذكير والإعلام بأسلوب حانٍ ظريف؛ وهذا سعي إلى تحقيق الشروط الفقهية للعالم، والتي «منها ما يشترك فيه العالم والمتعلم، وهما شرطان: إخلاص النية فيه لله تعالى، والآخر: العمل به. ومنها ما يختص به العالم، وهما شرطان: أحدهما بذل العلم

لطالبه والسائل عنه بجدّ ونصيحة، والآخر: التسوية في التعليم بين الأغنياء والفقراء» (ابن جُزَيّ الكلبي، ص 436).

وعليه فإن للمربي دوراً في ترسيخ مقومات الهوية الحضارية؛ ونظراً لخطورة هذا الدور يقدم الفيلسوف "أبو حامد الغزالي" (1059-1111) للتربية تعريفاً حسياً فيشبهها بتقنية الفلاح لمحيط زرعته من الأشواك والنباتات الغريبة، فيحسن ويكمل نباته، ثم يعدّد الغزالي شروط الشيخ الذي يصلح لأن يكون نائباً للرسول الأكرم، قائماً بالإرشاد، من أهمها: أن يكون قد سبقت له متابعة شيخ بصير، حسن عبادة الله: باطناً برياضته لنفسه، وما يُثمره هذا ظاهراً في سلوكه من الزهد في الدنيا وجاهها، ومن معالم سيرته: طمأنينة النفس والشكر، التوكل واليقين، السخاء والصدق، الحلم والتواضع، العلم، الوقار والحياء، وقد اعتبر الغزالي -في ذاك الزمان- هذا النوع من الناس نادراً جداً، وهو ما يجعله مستأهلاً سامقاً احترام غيره. (الغزالي. أيها الولد. ص ص 12، 13) كما يعدّ الغزالي ثمانية وظائف للمعلم، والتي تكون سبباً في نفع علمه وهي: أن يعتبر المتعلم ابناً له فيشفق عليه في المعاملة فيتحاب هؤلاء المتعلمون كالإخوة، أن يطلب المثوبة من الله تعالى بعلمه دون أن يطلب أجراً على تعليمه ودون منّة على المتعلمين، النصح للمتعلّم قدر مستطاعه، التربية الخلقيّة للمتعلّم بلطف ودون زجره على أخطائه الأخلاقية، ألا ينتقص من شأن العلوم الأخرى سواء أمام المتعلم أو غيره، مراعاته لقدرة استيعاب المتعلم حتى لا يجافي طلب العلم، ألا يعلمّ العوام ما لا يطيقون فهمه من الشرع، فيشوّش اعتقادهم وقد يجرؤون على الاجتهاد فيما لا يعونه فيظلمون، وكذا أن يُصدّق عمله قوله فيرسخ القول في نفوس المتعلمين (الغزالي، 1988، ص ص 94 - 100).

وعلى الرغم من ندرة هذا الصنف من الأساتذة فقد اجتمعت مجمل هذه خلال الكريمة في الأستاذ "الصدّيق"، بشهادات معارفه فنجح؛ ولهذا فمن الخطورة بمكان أن يعلم العالم نقيصته الأخلاقية ثم يتجاهلها أو يصر عليها، فإن كان "فرداً" فمُتَقَوُّوا أثره "كثُر"

وأدعى لها - حينذاك - أن تنتشر. كما أن الفرد في المجتمع يجعل رابطا نفسيا - قد يكون شعوريا أو غير شعوري - بين سلوك علماء المجتمع وأقوالهم، فإن رضي منه السلوك قبلها وأقبل عليها بغدق تعاطف وإلا أهانها بالتقصير فيها.

وأستاذ اليوم يعيش الاستلاب الحضاري أمام المد الغربي الجديد الجارف، فهو أخرج إلى قدوة واعية - مثل الشيخ محمد الصالح الصديق - لحسن توجيه مساره التربوي التعليمي فيكون قدوة واعية في مجال فهم المواطنة الحققة وحسن تجسيدها.

وقد يعطي الشخص الأولوية للخلق القويم على العلم الغزير إلا أن الأخير لا يمكن إغفاله في ملمح الأستاذ الواعي بدوره الحضاري، فهو شرط جوهري للبناء العقلي للطلاب، فالتربية تنمية للجانب الوجداني المتكامل مع الجانب العقلي بما يناسب تحقيق الأهداف النبيلة للمجتمع، وهذا ما يستدعي أن يكون الأستاذ متضلعا من أساسيات مادته المعرفية، مطلعا على امتداداتها كي يسهل عليه الربط بين عناصرها لتوجيه طلبته إلى فهم شروط صحة وفاعلية ذلك العلم وعلاقته بغيره من العلوم، مطلعا بروية وسوسّع على الفكر الأجنبي وحيثياته، مستفيدا من إيجابياته ومنبّها إلى مثالبه وسقطاته بالدلائل الدامغة؛ فهذا مما يسوّغ قبول خطاب المفكر المسلم المعاصر، ويسهّل تمثله وتطبيقه.

وعلى هذا فالشيخ الصديق ما يزال ممارسا صبوراً لوظيفة التدريس، فإن تقاعد غالب الأساتذة في السن المحدد قانوناً، فإنّ للشيخ الصديق ما يقوله لمجتمعه، مماشياً المستجدات، مغتنماً فرص النصح، غير آبه بنظرة الناس إلى تصنيفاتهم لسنّ العطاء والابداع، الذي وقفه البعض على مادون السّتين؛ بل متجاوزاً فكرة شحّ تأليف أهل المغرب مقارنةً بأهل المشرق العربي، وهذا بعد أن وصلت تأليفه 153 كتاباً إلى مستهلّ عام 2022م، فضلاً عن الكتابة في عدة مجلات جزائرية وعربية.

4.4. ثمار المساهمة في إصلاح المجتمع:

مما سلف، يلحّ السؤال: هل عاش الشيخ الصديق سعيداً؟ والجواب يأتي من العلوم الإنسانية؛ حيث يعدد بعض الباحثين في "علم النفس الاجتماعي" أسباب كثيرة لتحقيق السعادة، يصنفونها إلى: تفاعل اجتماعي: كالشعور بوجود الله -تعالى- التواجد مع الأصدقاء، الدخول في مناقشة حية وإسداء النصيحة وعون الآخرين، مدح الغير، أن يجعل الشخصُ غيره يهتمون بقوله، تسليّة الآخرين وأن يكون للشخص شعبية في جمع، والتخطيط لمستقبل أفضل، أمّا الصنف الثاني من الأسباب فهو الكفاءة الذاتية: والذي تصفها مثلاً- المطالعة الأدبية، تخطيط الشخص وإنجازه لمشروع معين بطريقته الخاصة، القيادة الماهرة والكفاءة في الإنجاز. (أراجيل، 1993، ص ص251-253) كما تؤكد الأبحاث الجديدة أنّ الفرص -وهي جملة مواتية من الظروف- التي يحتاجها الإنسان، وافرةٌ بكثرة يصعب تخيل مدى سعتها في الزمان والمكان، ويبقى مدى وعي الشخص وأسلوب استقباله لها هو ما يحدّد مدى استفادته منها، فإن ركز تفكيره على الماديات -فحسب- فسوف يقلّص من نسبة نجاحه في استغلالها. (هاريس، 2013، ص ص166-167)

ويجدر هنا تأمل مدى توافق مطامح الشخص -والتي تشعره بمعنى إنسانيته- مع إنجازاته، فإن تحقق ذلك ازداد سعادة؛ وعلى هذا يبدو الشيخ الصديق من أسعد الناس، لكن أنّى له بسعادة جمّة وهو يرى جلّ العالم الإسلامي منتهكاً كليلاً يرزح تحت نير استبداد طال زمنه، فضلاً عن ذلك فبعض أهل العلم في المجتمع المسلم يتخذون مشارب مخالفة لشرعه الحكيم، ناشرين -في مجتمعاتهم- نظريات مستوردة مريضة يمكنها الإضرار بهم.

وهنا تتضح مدى متانة جمع الصديق بين الوعي بكنه رسالته الحياتية والإيمان بصحتها، وتفاوتله المتواصل بتحقيقها، يوجّه ذكاء فطرة وقاد، فضلاً عن مرونة طبع

وطيبة نفس مازجها باكتساب ما ينميّه من علم وشعور بمسؤولية الرقي بالأمة إلى ما هو أليق بها من عزّ، كأمانة أوجبَ على نفسه صونها، وما تُثمره هذه السمات من حسن اختيار للخطاب المناسب لمستوى للمتلقى؛ وهي خصائص نفسية تؤكد الدراسات العلمية على أنها أهم ما يميز الأستاذ الناجح (الداهري، 2008، ص67)، هذا فضلا عن الخصائص العلمية التي جعلت طلبته وقرّاءه يعجبون بجودة إلمامه بكثير من نواحي التراث الفكري الإسلامي، بدقة نادرة في الفهم والشرح مع الاجتهاد لأجل تحيين شطر من التراث الفكري للأمة، بما يُشعر القارئ بجدة الموضوع، والتي تكسبه حيوية دافعة لأن يتوسل معطيات موضوعه لخدمة واقعه، وبهذا فالأستاذ الصديق يحقق البعدين الأكاديمي والوظيفي لدور الأستاذ، لكن ذلك كان مستندا إلى إدراكه للبعد الثقافي لهذا الدور، متمثلا في عمق وعيه بالقضايا الكبرى لأمتّه، والتزامه بالشجاعة لطرحها في أوانها، موفرا ما استطاع من الشروط الذاتية والموضوعية لذلك، مقترحا الحلول الأجدى ملائمةً، مع تمييز دور كل طرف فيها، بما ينسجم مع واقع الأمة وطموحاتها، متعاوننا مع رفاقه المربين في الجزائر والعالم العربي على إذكاء روح الإسلام والعروبة في نفوس أبناء الأمة، فكونوا جيلا آمن بالتححر هذفا، فهب في وحدة صف ضد المستدمر ليفتك استقلاله.

كل هذه المعطيات جعلت من الشيخ الصديق هذا المفكر الواعظ، الجهد، المجاهد، السياسي، الرحالة أستاذا مصلحا بامتياز وقُدوة لكل مُربٍّ مستقبليّ، فقد وُفق إلى حدّ كبير في استثمار الجواهر الطيبة -التي رضخت زمنا للوضع العام القاتم في الجزائر المحتلة -رفقة زملائه العلماء، في بناء استراتيجية تربوية تعليمية متكاملة ومنسجمة العناصر تتبلج لها النفوس المتلقية، فكان طاقة جذب إلى العلّا؛ فهو مؤمن بصدق قضيته، متين العزم على تحقيق حلم الشعب الجزائري بالفوز بثقافة إسلامية موحدة قوية الأركان فكان من الناجحين، أمام عدوّ عجز عن إدراك القوانين العلمية لسيرورة الأمم، مع ما له من خزان علمي غير مستفاد؛ فالأمة التي لا تجد لها علماء يحرصون على تحقيق تقدّمها

وتفتّحها على كلّ جديد مفيد، ولا يسهرّون على الحفاظ على استمرارية تحسين مكاسبها، ويدورون في فلك الفكر الغربي والتغريبي الضال في الكثير من عناصر إيديولوجياته، يسهل اختراقها بشتى الطرق فتنتفك أوصالها؛ ويُفترض أن يكون لكل أمة نصيب من تواجد هؤلاء المقاومين الصامدين الأفذاذ بها، لكن لب المشكلة يكمن في الإهمال الذي طال أكثرهم، خاصة إن عجزوا عن نشر معتقداتهم السليمة ضمن إطار مجتمعهم، الذي لا يكاد يعي غالبُ أفراده السنن المجتمعية واستغلالها للصالح العام.

خاتمة:

وعليه، فقد قدّم العلامة المجاهد محمد الصديق مشروعا استراتيجيا متكامل العناصر منسجمَ نستلهم منه عظات، من أهمها:

1. من أهم عوامل بناء العلماء هو سلامة المحيط الاجتماعي، الأمر الذي يكسب الفرد وعيا كافيا بمقومات هويته، فيسهل عليه مقارنتها بغيرها فيأخذ بالأفكار الفضلى: الصحيحة الصالحة في ذاك الزمن؛ والتاريخ والواقع يؤكدان وجود هذا النوع الألمعي من الناس في الجزائر - رغم قنوط البعض من إيجاده - مثل الشيخ الصديق الذي حظي بظروف نشأة وطنية دينية رسّخت فيه مقومات هويته وصحتّها، وصلاحيّتها.
2. ساهم الصديق في تمتين دعائم الحركة الإصلاحية - المتواصلة على مرّ الزمن - عبر حسن الاقتداء والاجتهاد، بعد أن التحم بقضايا شعبه فكان محل ثقته، فساهم في توجيه هذا الشعب إلى العلا لما هبّ يساجل صوتاً لهوية الشرع الحكيم ولابتعاث قيمه - المتجذرة في النفس الجزائرية - من جديد لمواجهة محاولات المسخ المتنوعة الوسائل التي بذلها بعض من اضطربت معايير فلسفاتهم الحياتية.

3. ساهم وعيه وعمله الإصلاحي في تعبيد النهج لغيره من العلماء والأبطال للخلاص من تخنيع المستبدّ الأعمى وتعمير أمة آن لها أن تُبنى من جديد، عبر مشروع حضاري واعٍ متكاتفاً مع زملائه من رواد العلم في العالم الإسلامي، مؤمنين بالإسلام

كأصلح نظام نفسي، اجتماعي، اقتصادي وسياسي لازدهار أي مجتمع؛ والإنجازات الكبرى تبدأ رؤاً يؤمن بها أصحابها ويجتهدون لتجسيدها.

ولهذا يجدر بالباحثين التواصي بفكر الشيخ محمد الصالح الصديق، من ناحية:

أ. تتمين مؤلفاته من حيث تنظيم مسابقات وطنية لأفضل كتاب يؤلف حول فكره، فتكون سببا لاستشفاف لآليء نتاجه بما تزخر به من سير أساطين العلم والعمل للاقتداء بهم.

ب. مواصلة السنة الحميدة التي بادرت إليها بعض القنوات التلفزية والإذاعية الجزائرية التي استضافت الشيخ الصديق لمحاورته، الأمر الذي مكن المشاهد والمستمع من اكتشاف علامة نادر ثمين المعدن بشوش النفس في وقار، جزل العبارة، بديع البيان، حاضر البديهة، موسوعي العلم، دقيق المعنى والمبنى، حريّ استهام مناقبه.

ج. نشر مصادره والمراجع التي أنجزت حول سيرته وفكره على نطاق واسع، لتشجيع المزيد من التفكير في المشترك القيمي الإسلامي، باعتبار أخوة الدين الواسعة - حتى يتضامن أبناء هذه الحضارة لتمتين مآثرها - معنى وتطبيقا - فيُصلحوا واقعهم، لتلافي ما انحطت إليه غيرها من الثقافات؛ فالنهضات توزن بمدى تأسيسها على الفضائل، عساها تبعث في هذه الأمة مجدها وسوددها المنتظر، فلعلها تثمر عوامل عميقة الدور في الرقيّ بمصير الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

القرآن الكريم

- الإبراهيمي، محمد البشير. (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ط1). ج1. جمع وتقديم: الإبراهيمي، أحمد طالب. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- ابن باديس، عبد الحميد (1985). آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ط1). ج4. إشراف وزارة الشؤون الدينية. دار البعث للطباعة والنشر. قسنطينة.
- ابن جُزَيّ الكلبي، أبو القاسم محمد. (2008). القوانين الفقهية (د.ط.). إعتناء وضبط: السويد، ناجي. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

- ابن نبي، مالك. (2005). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (ط6). ترجمة: بركة، بسام. وشعبو، أحمد، إشراف وتقديم: مسقاوي، عمر. دار الفكر المعاصر. بيروت - دار الفكر. دمشق
- الأحمدي، تومي عياد وموفق، هشام. "الشروق" تكرم العالم المجاهد صاحب المائة كتاب وكتاب محمد الصالح الصديق.. ثنائية القلم والرشاش. الشروق اليومي. نشر في 27-08-2009 متاح على <https://www.djazairiss.com/echorouk/41426>.
- أرجيل، مايكل. (1993). سيكولوجية السعادة. ترجمة: يوسف، فيصل عبد القادر. مراجعة: جلال، شوقي. سلسلة عالم المعرفة. الكويت. عدد: 175،
- الأشرف، مصطفى (1983). الجزائر: الأمة والمجتمع (د.ط.). ترجمة: ابن عيسى حنفي. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- تلفزيون البلاد، دروب الذاكرة: الأستاذ محمد صالح الصديق. إستعمل في: 25-12-2021م، متاح على <https://www.youtube.com/watch?v=7Ft9f1PCdkA>.
- الجمالي، محمد فاضل. الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته. ضمن: (2007). الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، عدد ممتاز من مجلة الثقافة. (ط2). إشراف: شبوب، عثمان. دار الأمة. الجزائر. ص 13. ص 128، نقلا عن: صفحات من الكفاح العربي. الدار التونسية للنشر.
- الحسني، محمد الهادي. (2012). نجوم ورجوم (ط1). الشروق للإعلام والنشر. الجزائر.
- حميدي، أبوبكر الصديق. 2020. الطلبة الجزائريون في الزيتونة ومساهماتهم في الثورة الجزائرية: الشيخ محمد الصالح الصديق أنموذجا. المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 4، ع. 2، صص. 290-305 متاح على www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/664/4/2/137202.
- خان، وحيد الدين. (1984). البعث الإسلامي: المنهج والشروط (ط1). ترجمة: الندوي، محسن عثمان. مراجعة: عويس، عبد الحليم. دار الصحوة للنشر والتوزيع. القاهرة.
- الداهري، صالح حسن. (2008). سيكولوجية الإرشاد النفسي المدرسي: أساليبه ونظرياته (ط1). دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- دورتيه، جان فرانسوا. (في الإشراف). (2009/2004). معجم العلوم الإنسانية (ط1). ترجمة: كتورة، جورج. كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. أبوظبي - بيروت.
- الصديق، محمد الصالح. (2003). مفكرون غربيون يعتنقون الإسلام ويتحدثون عنه. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2005). محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين (ط1). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2008). الوقت في حياتنا كيف تأخرنا بإهماله وتقدم غيرنا باستثماره. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2009). الإجهاد والتجديد في الفكر الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

- الصديق، محمد الصالح. (2011). الإنسان نشأته وآفاق من حياته (ط2). دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2011). القاهرة الاستعمار. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2011). مقاصد القرآن (ط1). دار قرطبة للنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2013). نماذج للاقتداء. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2017). الجزائر بين الماضي والحاضر. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2017). مدارس لولاها ما كنت (ط1). دار النعمان للطباعة والنشر. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. (2019). نفائس الكنوز (ط1). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- الصديق، محمد الصالح. الإنسان فتنة لغيره. ضمن: جريدة البصائر. الأربعاء 5-12-2018. استعمل بتاريخ: 25-01-2022، متاح على (<https://elbassair.dz/4213/>).
- الصديق، محمد الصالح. العلم ثم الشهادة ثم الوظيفة. ضمن: جريدة البصائر. الثلاثاء 28-5-2019. استعمل بتاريخ: 26-01-2022. متاح على (<https://elbassair.dz/5419/>).
- الصديق، محمد الصالح. الواقفون تحت مجاري الأقدار. ضمن: جريدة البصائر. الثلاثاء 18-2-2020م، استعمل في: 12-02-2022. متاح على (<https://elbassair.dz/7938/>).
- الصديق، محمد الصالح. (2017). من روائع الإعجاز (ط2). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- طباس، نسيم وملا، خديجة. (2021). الإدمان على الانترنت لدى الطلبة الجامعيين. مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 05. (01).
- عبد اللطيف، حمزة. 2017. القرآن أقوى من الاستعمار الفرنسي. نقلا عن موقع (حسوب) <https://io.hsoub.com/Islamic/64861%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%D8%A3%D9%82%D9%88%D9%89%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A>
- عبدوس، عبد الحميد. العلامة الأديب محمد الصالح الصديق الهرم الثقافي الشامخ. ضمن: جريدة البصائر. عدد: 11-9-2019م. استعمل في: 10-02-2022م، على (<https://elbassair.dz/6070/>).
- عبدوس، عبد الحميد. صدور الأعمال الكاملة لشيخ كتاب الجزائر العلامة محمد الصالح الصديق، ضمن: جريدة البصائر، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. <https://oulama.dz/2015/11/18/%D8%B5%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9%D9%84%D8%B4%D9%8A%>

D8%AE%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AC%
D8%B2%D8%A7%D8%A6/

الغزالي، أبو حامد. (1988). إحياء علوم الدين (ط1). إعداد ودراسة: الرفاعي، إصلاح عبد السلام. إشراف ومراجعة: شاهين، عبد الصبور. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة.
الغزالي، أبو حامد. (2010). أيها الولد. (ط4). شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

الغزالي، أبو حامد. أيها الولد. مخطوطة من: معهد الدراسات الشرقية. جامعة طوكيو. <http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.jp>

المجاوي، عبد القادر بن عبد الله. (2008). إرشاد المتعلمين (ط1). تحقيق وتقديم وتعليق: الجزائري، عادل بن الحاج همال. الشركة الجزائرية اللبنانية. الجزائر العاصمة-دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

مسلم، بن الحجاج القشيري. (د.س.). المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم. ج3. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

ميرة، إسماعيل. (2008). المجاهد محمد الصالح الصديق بين صرير الأقلام وقعقة السلاح (ط2). دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.

هاريس، هربرت (2013). 12 قانونا كونيا للنجاح (ط4). مكتبة جرير. الرياض. السعودية.

باللغة الأجنبية:

Fanon .Frantz. (2006). L'an V de la révolution algérienne. ENAG Editions. Algérie